

تفسير البحر المحيط

@ 451 الأيكة اسم الناحية ، فيكون علماً . ويقويه قراءة من قرأ في الشعراء وص :

ليكة ممنوع الصرف . كفروا فسلطوا عليهم الحر ، وأهلكوا بعذاب الظلة . ويأتي ذلك مستوفى إن شاء الله تعالى في سورة الشعراء . وإن عند البصريين هي لمخففة من الثقيلة ، وعند الفراء نافية ، واللام بمعنى ألا . وتقدم نظير ذلك في : { وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً } في البقرة . والظاهر قول الجمهور من أن الضمير في وأنها عائد على قريتي : قوم لوط ، وقوم شعيب . أي : على أنهما ممر السائلة . وقيل : يعود على شعيب ولوط أي : وإنها لبإمام مبین ، أي بطريق من الحق واضح ، والإمام الطريق . وقيل : وإنها أي : الحر بهلاك قوم لوط وأصحاب الأيكة ، لفي مكتوب مبین أي : اللوح المحفوظ . قال مؤرخ : والإمام الكتاب بلغة حمير . وقيل : يعود على أصحاب الأيكة ومدين ، لأنه مرسل إليهما ، فدل ذكر أحدهما على الآخر ، فعاد الضمير إليهما .

{ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ * وَآتَيْنَاهُمْ * فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ * وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ * فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَسَاكِنُهُمْ وَكَانُوا يَكْسِبُونَ } : أصحاب الحجر ثمود قوم صالح عليه السلام ، والحجر أرض بين الحجاز والشام ، وتقدمت قصته في الأعراف مستوفاة . والمرسلين يعني بتكذيبهم صالحاً ، لأن من كذب واحداً منهم فكأنما كذبهم جميعاً . قال الزمخشري : أو أراد صالحاً ومن معه من المؤمنين كما قيل : الخبيبيون في ابن الزبير وأصحابه . وعن جابر قال : مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (على الحجر فقال لنا : { لَا تَدْخُلُوا * مَسَاكِينِ الَّذِينَ ظَلَمُوا * أَنْفُسَهُمْ * إِلَّا أَنْ * تَكُونُوا * حَصَبٌ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ * لَوْ كَانَهُمْ يُشْرِكُونَ * فَأَمَّا مَنْ جَاهِلٌ يُؤْمِنُ فَاسْرِعْ خَلْفَهَا وفي بعض طرقه ثم قال : { هَؤُلَاءِ قَوْمٌ * صَالِحٌ * وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا * وَهُمْ مُشْرِكُونَ * فَأَمَّا مَنْ جَاهِلٌ يُؤْمِنُ فَاسْرِعْ خَلْفَهَا * مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ * } قيل : من هو يا رسول الله ؟ قال : (أبو رغال) وإليه تنسب ثقيف .

وآتيناهم آياتنا قيل : أنزل إليهم آيات من كتاب الله ، وقيل : يراد نصب الأدلة فأعرضوا عنها . وقيل : كان في الناقة آيات خمس . خروجها من الصخرة ، ودنو نتاجها عند خروجها ، وعظمها حتى لم تشبهها ناقة ، وكثرة لبنها حتى يكفيهم جميعاً . وقيل : كانت له آيات غير

الناقة . وقرأ الجمهور : ينحتون بكسر الخاء . وقرأ الحسن ، وأبو حيوه بفتحها وصفهم
بشدة النظر للدنيا والتكسب منها ، فذكر من ذلك مثالا وهو نقرهم بالمعاول ونحوها في
الحجارة . وآمنين ، قيل : من الانهدام . وقيل : من حوادث الدنيا . وقيل : من الموت
لاغترارهم بطول الأعمار . وقيل : من نقب اللصوص ، ومن الأعداء . وقيل : من عذاب الله ،
يحسبون أن الجبال تحميهم منه . قال ابن عطية : وأصح ما يظهر في ذلك أنهم كانوا يأمنون
عواقب الآخرة ، فكانوا لا يعملون بحسبها ، بل كانوا يعملون بحسب الأمن منها . ومصبحين :
داخلين في الصباح . والظاهر أن ما في قوله فما أغنى نافية ، وتحتمل الاستفهام المراد
منه التعجب . وما في كانوا يحتمل أن تكون مصدرية ، والظاهر أنها بمعنى الذي ، والضمير
محذوف أي : يكسبونه من البيوت الوثيقة والأموال والعدد ، بل خروا جاثمين هلكي { وَمَا
خَلَقْنَا * السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ * وَمَا بَيْنَهُنَّ إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ
السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ * السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا
بَيْنَهُنَّ إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْفَحِ
الْجَمِيلَ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَسِيفُ الْعَلِيمُ * وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ
سَبْعًا مِّنَ الْمُتَنَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ * لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى
مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ
جَنَاحَكَ لِلْعُلَمَاءِ * وَقُلْ إِنِّي أَنَا الذَّالِمِينَ * كَمَا
أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ * الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ *
فَوَرَبُّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَاصْدَعْ
بِمَا تُوِّمِرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ
الْمُسْتَهْزِئِينَ * الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ
يَعْمَلُونَ * وَلَقَدْ زَعَلِمُ أَنْزَلْنَا بِكَ بِضَاقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ *
فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِّنَ السَّاجِدِينَ * وَاَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ
يَأْتِيَ تَبْيُكَ الْيَقِينُ } : إلا بالحق أي : خلقا ملتبسا بالحق . لم يخلق شيء من ذلك
عبثا ولا هملا ، بل ليطيع من أطاع بالتفكر في ذلك الخلق العظيم ، وليتذكر النشأة الآخرة
بهذه النشأة الأولى . ولذلك نبه من يتنبه بقوله : وأن الساعة آتية ، فيجازي من أطاع ومن
عصي . ثم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم (بالصفح